الثنائية الضدية في شعر الحطيئة

م.د. صلاح أحمد صالح
كلية الآداب/ جامعة الموصل

Binary Converseness in the Poetry of Al- Hotai'ah

Lec. Dr. Salah Ahmed Saleh
University of Mosul / College of Arts
Sa1970ah@yahoo.com

Abstract

The concept of binary converses is a modern philosophical one. Arabs knew it earlier as oppositeness. They knew it as a literal converseness and a converseness in meaning. The binary converses are items that each one eliminates the presence of the other like black and white, darkness and daylight. Daylight eliminates darkness. So the relationship between the binaries is that of contradiction and converseness.

The contrast the presence of binaries creates can be felt clearly and perfectly. This is applicable to all the thoughts and perceptions and mental visualizations like the feelings of delight and pain, fatigue and repose.

The objective of this study is to show these converses in the poetry of AL- Hotai'ah. It is an attempt to observe the formulations of these binaries in his texts as his poetry attests their affluence a thing that imposes the necesity of considering them and considering the impart they have upon his poetry, as well. Also the reasons why he made an extensive use of binaries are to be highlighted and whether they represent a reflection to his personality which seems full of contradictions.

The study concludes that AL-Hotai'ah focused in his poetry upon the binary converses which reflected an exhausted life he lived through which he made a tiring journey in the line of seeking endowments things he got some times and did not in many times in the courts of the people he praised in his poetry . Likewise, the study concluded that in his poetry he embedded his primary wish of achieving immortality and attaining a luxury life a thing he pursed until the end of his life.

الملخص

إن مصطلح الثنائيات الضدية هو مفهوم فلسفي حديث، عرفه العرب بأسماء أخرى كالتقابل والطباق، وعرفوه بأنه تضاد باللفظ وتضاد بالمعنى والتضادان هما اللذان ينفي أحدهما وجود الآخر، كالسواد والبياض والنور والظلام فوجود النور ينفي وجود الظلام ولذلك يدخلان في علاقة تضاد وتناقض فالشعور بهما يكون تاماً وواضحاً إذا اجتمعا في المكان نفسه وهذا ينطبق على كل الإحساسات والإدراكات والصور العقلية كالشعور باللذة والألم والتعب والراحة. والهدف من البحث إظهار هذه التضادات في شعر الحطيئة ومحاولة الوقوف على تشكلاتها في نصوصه، فشعره يمتاز بكثرتها فلابد من دراستها ومعرفة مدى تأثيرها في شعره وكذلك معرفة الأسباب التي دعته إلى كثرة استخدامها وهل كانت نتيجة انعكاس لشخصيته التي بدا واضحاً من خلال البحث أنها تموج بالمتناقضات ما انعكس على شعره فبثها به معبراً عن خلجات نفسه، وقد تبين للبحث أن الحطيئة كان يتأرجح في شعره بمضمار تلك الثنائيات الضدية جسدها واقعه المنهك، ورحلته الشاقة لطلب العطاء، وما يقابلها من محطات المنع والجحود لدى ممدوحيه، ومن ثم تبين من خلال البحث أن شعره زاخر بهذه الثنائيات التي تشكلت في رحلته الشعرية مجسدة أمنيته الأولى وهي طلب الخلود الدائم وسعيه إلى الحياة الكريمة التي أفنى حياته في طلبها، لذلك كان لابد لنا من دراسة شعره على هذا المنوال.

الكلمات المفتاحية: الثنائية، الضدية، شعر، الحطيئة.

مفهوم الثنائية الضدية:

تتجلى الثنائيات الضدية في الشعر العربي بصورة واضحة ظاهرة، وعندما نعلم أن مصطلح الثنائية الضدية هو مفهوم فلسفي حديث[1] وإن كان العرب قد عرفوه وتكلموا عنه في أثناء نقدهم لأشعار السابقين، ووضعوه تحت أسماء مثل: الطباق الذي هو التقابل سواء أكان طباق سلب أو إيجاب، فقد ذكره قدامة بن جعفر: "والذي أريد بقولي: متكافئين في هذا الموضع: أي متقاومان، إما من جهة المضادة أو السلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل"[2]. فالتضاد معروف عند العرب كثيراً وهو يعني الطباق ولا شك أنهما واحد، بدليل ما جاء من أمثلة في قسمتهم للمتضادين –إذا تقابلا– أن يكونا مطابقين، ومنه قول زهير[3]:

ليثٌ بعثَّر يصطادُ الرجالَ إذا ما الليثُ كذَّبَ عن أقرانِهِ صَدَقا

فطابق بين قوله كذَّب وصدقا[4].

فالتضاد مفهوم بلاغي قديم صنفه أغلب القدماء في حقل البديع، وعرَّفوه على أنه واحد من اثنين، التضاد باللفظ والتضاد بالمعنى، "فالمتضادان هما اللذان ينفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد والبياض"[5] وهو عند أبي هلال العسكري الطباق "الجمع بين الشيء وضده في أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحر والبرد"[6] ويقول الباقلاني: "ويرون من البديع أيضاً ما يسمونه المطابقة وأكثرهم على أن معناها أن يذكر الشيء وضده كالليل والنهار والسواد والبياض"[7] ويعرفه الخطيب القزويني بأنه: "الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة"[8] أما ابن الأثير فيقول: "وقد أجمع أرباب هذه الصناعة على أن المطابقة هي الجمع بين الشيء وضده، كالسواد والبياض والليل والنهار"[9].

وإن كان بعضهم يرى أن التقابل هو المفهوم الأعم والأشمل يقول ابن الأثير: "الأليف من حيث المعنى أن يسمي هذا النوع المقابلة، لأنه لا يخلو الحال من وجهتين؛ إما أن يقابل الشيء بضده أو يقابل بما ليس ضده"[10] وقد توسع القدماء في مفهوم التقابل وجرى كثيراً على ألسنتهم ووضعوا له كثيراً من التفصيلات[11].

"والثنائيات الضدية ما كان ذا شقين، إذ هي القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون، كثنائية الأضداد وتعاقبها، وهي مرادفة للأثنية وهي كون الطبيعة ذات مبدأين ويقابلها كون الطبيعة ذات مبدأ واحد أو عدة مبادئ"[12]. وتقدم الثنائية بوصفها فكرة فلسفية على أن ثمة قدرة على الربط بين الظواهر التي يبدو أنها منفصلة، فالتضاد رابطة مثل التماثل، والتناقض رابطة لأنه يعني نفي النقيض، فوجود النور ينفي وجود الظلام، لذا يدخلان في علاقة تناقض، أما التضاد فيكون في السواد والبياض لأنهما إذا اجتمعا معاً في المدرك نفسه كان الشعور بهما أتم وأوضح وهذا ينطبق على كل الإحساسات والإدراكات والصور العقلية. على جميع حالات الشعور كاللذة والألم والتعب والراحة، فحالات التضاد يوضح بعضها بعضاً، وبضدها تتميز الأشياء[13].

(1) ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت: 285/1.
(2) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر، 1963 : 163-164.
(3) شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط3، 2008: 50 .
(4) ينظر: التقابل والتماثل في القرآن الكريم، د.فايز عارف القرعان، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العربي، ط1، الأردن، 2006: 41.
(5) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: أبي عمرو عماد زكي الباروي، المكتبة التوفيقية، أمام الباب الأخضر: 164.
(6) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952: 307.
(7) إعجاز القرآن، الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: السيد أحمد صقر: 80/1.
(8) الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، اعتنى به وراجعه محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2008: 333.
(9) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، نهضة مصر، ط1، 1959: 143/3.
(10) المصدر نفسه: 144/3.
(11) ينظر: التقابل والتماثل: 40؛ ودراسات لغوية في نونية ابن زيدون، د.ناصر عبد النبي، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010: 69-70.
(12) المعجم الفلسفي: 379/1.
(13) ينظر: المصدر نفسه: 285.

إن التضاد مطلب مهم في دراسة الأنساق التي تهيمن على العمل الأدبي، إذ لا بد من اكتمال النسق، ثم انحلاله وهذا شرط أساس لفاعليته، وفي أي عمل أصيل لا بد عندما تتشكل الأنساق أن تنحل لتنشأ عبر التغاير (أي الحضور والغياب) بنية تقوم على ثنائية ضدية تنبع من التمايز بين عنصرين أساسين، وقد يفسر لنا هذا جزءاً من حيوية (ديناميكية) عملية التلقي الأدبي(1). وقد اعتنى اللغويون المعاصرون والنقاد البنيويون بمصطلح الثنائية الضدية Binary Opposition وأكدوا فاعلية وجوده في النص الشعري بوصفه معنى يفجر الطاقة الشعرية في الصور والمعاني(2).

إن الفكر الإنساني على مر العصور قائم على الاختلاف، فلا مجتمع ولا حضارة إلا ويعتريها التباين فالحياة لا تستقر على حال، ولو كان التشابه هو قانون الكون لأضحت الحياة رتيبة ولكن هذا هو ناموس الحياة يوم لك ويوم عليك والاختلاف موجود في كل شيء، والثنائيات الضدية هي فرع من الفلسفة الجدلية أو (الديالكتيك)، إذ إن النفس البشرية تحمل في طياتها تلك النوازع الغائرة في أعماقها، فالحياة غريزة أثرها واضح، كما أن الموت حقيقة نصب أعين البشر، والسواد والبياض، موجودان جنباً إلى جنب ولا شك أن كل تلك المظاهر هي نتيجة التجاذب بين قطبي تلك الثنائية في محيط الحياة(3).

ودراسة الشعر عبر ثنائياته المتضادة وسيلة من الوسائل الفنية التي تحقق للقصيدة إيقاعها الدلالي وتفتح أمام المتلقي فضاءات جديدة، وتترك للخيال أن يرتاد آفاقاً رحبة، مما يجعل العبارة الشعرية في هذا الأسلوب قابلة لقراءات متعددة(4).

غير أن أهم ما يميز دراسة النص الشعري عبر ثنائياته الضدية هو أن الظاهرة (الثنائيات الضدية) لا تعني بحد ذاتها، وإنما الذي يعني هو العلاقات التي تنشأ بين الظاهرة وبين غيرها من الظواهر في النص حين تشكل كلها ثنائيات ضدية لكل طرف منها خصائصه المميزة(5).

ويرى التفكيكيون أن فهم الحياة على أساس الثنائيات الضدية يؤدي إلى حصرها في نمط ثابت، وليس في الحياة ثبات (عندهم) وتقدم فكرتهم على رفض ثبات المعنى في منظومة النص، فالتفكيك تغير لا نهائي للنص، بينما يرى البنيويون النص مغلقاً والتفسير مغلقاً ونهائياً(6).

الحطيئة والثنائيات الضدية:

إنّ المتأمل لشعر الحطيئة يجده زاخراً بالثنائيات الضدية وهذا ليس رأينا فقط، وإنما هو رأي النقاد القدماء من الذين بهرهم شعره فلم يمنعوا أنفسهم من ذكره وذكر شعره ولا سيما في هذا الجانب الذي عرف سابقاً عندهم بالطباق والتقابل، يقول ابن رشيق: "والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنِّس أو تطابق أو تقابل، فتترك لفظة للفظة ومعنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافي، حتى عدّوا من فضل صنعة الحطيئة حسن نسقه للكلام بعضه على بعض"(7).

ويبدو أن الحطيئة من الشعراء الذين غلبت على شعرهم هذه الثنائيات بشتى أنواعها حتى فطن إليه النقاد وذكروه في كتاباتهم كأبي هلال العسكري الذي يتمثل بأحد أبياته فيقول "وقد طابق جماعة من المتقدمين بالشيء وخلافه على التقريب لا على الحقيقة وذلك كقول الحطيئة:

وأخذتَ أطرارَ الكلام فلم تدعْ شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفَعُ

(1) ينظر: جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، 1981: 109-110.
(2) الثنائية الضدية في نماذج من الشعر العباسي، ماجد عبد الحميد الكعبي، مجلة أطراس، س1، ع2، جامعة البصرة، نيسان، 2006: 53.
(3) ينظر: الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، د.سمر الديوب، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009: 4؛ وينظر: الثنائيات الضدية وأبعادها في نصوص من المعلقات، د.غيثاء قادرة، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، دمشق، 2012، ع10: 28-29.
(4) ينظر: ثنائية الماء والنار في شعر أبي تمام، د.نوزاد شكر إسماعيل، مجلة التربية والعلم، م19، العدد (2) نيسان 2012: 607.
(5) ينظر: جدلية الخفاء والتجلي: 171.
(6) ينظر: الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم: 5.
(7) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1964: 95/1.

والهجاء ضد المديح فذكر الشتم على وجه التقريب"[1].

والحطيئة يمتاز بشعره الذي يرفل بالثنائيات الضدية على اختلاف أنواعها، كالثنائية الضدية المعنوية التي تحمل في طياتها دلالات عميقة، تنم عن حضور وغياب لنص ما من خلال المعاني الأولية التي تخفي وراءها معاني أكثر عمقاً ودلالة تزخر بها أغلب نصوص الحطيئة المبثوثة في ديوانه، كذلك استخدامه لتلك الثنائيات اللفظية بأنواعها المتفاوتة اسمية كانت أم فعلية.

أو تلك التي جمعت بين الفعل والاسم في آن واحد، أو تلك التي اعتمدت أداة معينة ميزت الضدين، فعلين كانا أو اسمين، ومن ذلك قوله يمدح ابن شماس[2]:

يرى البخلَ لا يُبقي على المرءِ مالَهُ ... ويعلم أن الشُّحَّ غيرُ مخلَّدِ
كسوبٌ ومتلافٌ إذا ما سألتَهُ ... تهلَّلَ واهتزَّ اهتزازَ المُهنَّدِ
متى تأتهِ تعشو إلى ضوءِ نارِهِ ... تجدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ موقِدِ
تزورُ إمرءاً إن يأتِكَ اليومَ نائلاً ... بكفيهِ لا يَمنَعْك من نائلِ الغدِ
وأنتَ امرؤٌ من ترمِ تهدِمْ صَفَاتَه ... ويرمِ فلا يهدِم صَفَاتَكَ مرتدي
سواءٌ عليه أيَّ حينٍ أتيتَهُ ... أفي يومِ نَحسٍ كان أو يومَ أسعُدِ

فعندما أراد الشاعر أن يسلط الضوء على ممدوحه الكريم (ابن شمّاس) ويجعل منه مثالاً للكرم والسخاء، وظف الشاعر ثنائياته الضدية وبثها في بنيان النص فهو يتحدث عن ثنائية معنوية موضوعها الكرم–البخل تلك الثنائية التي غلبت كل ما سواها في شعره، لكنه ضمنها ثنائيات لفظية أخرى صريحة ومشتقة مثل: كسوب ومتلاف فهي مقابلة ضدية تصلح لمثل هذا الموقف، فهو إنسان مجدّ ومجتهد يعمل ويكسب لكنه لا يكنز ما كسبه بل هو منفق يتلف ماله برحابة صدر، وإشراق وجه وسرور، فهو يهتز كالسيف في المعركة. ونلاحظ كذلك توظيفه لضديات أخرى مثل إن يعطك اليوم نائلاً، يقابلها بـ لا يمنعك من نائل الغد، فكل كلمة لها ما يقابلها، اليوم–غدا، يعطك–يمنعك، تهدم صَفَاته–لا يَهدم صَفاتَك، وكذلك ثنائية اليوم النحس–السعد. وهنا أراد الشاعر الإشارة إلى جدلية (الكرم–البخل) التي فرضت سطوتها على حياة العربي، إذ هي معيار مهم في إبراز سلوكهم ونمط حياتهم. وتلك النصوص تتجاوز في بنائها اللغوي دلالاتها السطحية بحكم ارتباطها بظواهر موضوعية، وإن تتبع السياق الكلي لها وما يحتويه يوحي بأنها تبطن تضاداً دلالياً تبلوره أنشطة سايكولوجية (نفسية) لا شعورية ذات طبيعة موجبة، فالشاعر أتى بتلك المفردات والمتقابلات لإبراز ظاهرة الكرم ومحاولة الدفع بهذه الظاهرة وبمن يوصفون بها إلى قمة الناس، فهم المفضلون عنده، وعند الجميع، حتى إنه جعل أوقات ذلك الكريم كلها في أمر الكرم، فتارة تضيء مجاهل الصحراء، تقبل إليها الناس، عندها يجدون أفضل نار، ومضرمها هو الأفضل بلا ريب، حتى إنَّ الخليفة عمر بن الخطاب لما أنشده الحطيئة ذلك البيت قال: "كذب بل تلك نار موسى نبي الله عليه السلام"[3]، وقال صاحب الخزانة: قال اللخمي: "كان الناس يستحسنون هذا البيت للأعشى:

وبات على النار الندى والمحلّقُ، حتى قال الحطيئة: متى تأته إلى آخره... فسقط بيت الأعشى"[4].

وفي قراءتنا لشعر الحطيئة وقفنا على أنواع من الثنائيات الضدية في شعره وهي الثنائيات الضدية المعنوية التي غالباً ما تأتي للتعبير عن فكرة أو موضوع جدلي قائم على الخفاء والتجلي مثل الكرم–البخل، الحياة–الموت، الضياء–الظلام، السلم–الحرب، الخير–الشر، العز–الذل، وغيرها من الثنائيات المعنوية الأخرى. وكذلك ثنائيات لفظية يأتي بها في شعره لتكريس معانٍ جديدة.

(1) كتاب الصناعتين: 329.
(2) ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت 2002 : 70.
(3) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الفكر، بيروت، تحقيق: سمير جابر، ط2: 193/2.
(4) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1988: 155/7-156.

الثنائيات المعنوية:

وسنبدأ في الثنائيات المعنوية عنده وطريقة توظيفها في نصوصه ومدى استفادته من المعاني المتولدة عنها فضلاً عن الصور والأفكار والرموز التي تنبعث عن تلك الثنائيات. ومن هذه الثنائيات التي "تؤكد هشاشة الإنسان أمام سطوة الزمن المبدّل المغيَّر"[1]، (الحياة–الموت) ونراه يجعل من الحياة والموت ثنائية ملازمة مرهونة بها حياة الممدوح وموته، من ذلك قوله يرثي علقمة بن علاثة[2]:

فإن تحيَ لا أمللْ حياتي وإن تَمُتْ فما في حياتي بعد مَوتِك طَائلُ

فقابل بين تحيَ وتمتْ، وبين لا أمل حياتي (أحيا مسروراً)، وبين فما في حياتي طائل (أي لا فائدة ترتجى من حياتي)، وهذا التجرد عند الشاعر دليل على مكانة المرثي منه، فهو يجعل حياته ومسراته مرهونة بحياة الممدوح، لأن حياته (أي الشاعر) بعد موت الممدوح لا تبدو ذا فائدة أبداً، فهل نلمح في نبرة الشاعر وجعاً عميقاً يختبيء خلف تلك الصور؟، أم أنها مجرد أماني نفثتها أنفاس ملتهبة بحسرة وألم على فقدان ممدوحه؟ فهو وإن جزع من تلك الحياة التي لا طائل منها، نراه في غيرها يقبل إلى الحياة ويشتهيها مع أنه يقر بعنائها إذا ما طالت.

فيقول[3]:

إذا ذهبَ الشبابُ وبانَ منه فليسَ لما مَضَى منهُ لقاءُ

يَصُبُّ إلى الحياةِ ويَشتَهيها وفي طُولِ الحياةِ له عَنَاءُ

فهو يضع نصب عينيه الموت عندما يصب إلى الحياة، فالعلاقات التي نستشفها في ثنائيته (الحياة–الموت) تكشف رؤى وفكراً جدلياً ناضجاً يستمد تضاداته من الوجود، عبر اكتناه علاقات ينميها الشاعر بحيث ينفي كل طرف منها طرفها الآخر، فالحياة عنده تنفي الموت وكذلك الموت ينفي الحياة وهذا هو محور الثنائية الضدية.

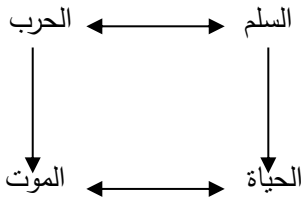
إن الثنائيات هي أزمة الشاعر وسؤاله الكبير، فقد تأخذ صورة سؤال الحياة والموت أو الحضور والغياب، صوراً لا تنتهي في كل أشعاره، فتراه يحاور أسلافه الموتى ليشحن قصيدته بقوة الماضي، ليخرج منها هيئة جديدة[4].

فالحياة والموت تتراءى في عيني الشاعر ولا تفارق تفكيره. وعندما يتحدث عن (السلم–الحرب) يجعل من السلم معادلاً للحياة في قوله[5]:

ألا هل لسهمٍ في الحياةِ فإنني أرى الحربَ عن رُوقٍ كوالحَ فُرَّتِ

فالشاعر لم يصرح بالسلم وإنما صرح بالحرب، وهذا يدل على أن السلم عنده كالحياة التي يقابلها الموت، والثنائية تتحرك هنا في توجيه المعنى ليفتق معاني جديدة، فالبؤرة المركزية في هذا البيت هي الخلاص من الحرب ومن عواقبها، فهو ينزع إلى مغادرتها وتجنبها بأن قابلها بالحياة التي تتوق لها كل الكائنات... والتضاد في هذه الصورة يكون كالآتي:

(1) الثنائيات الضدية وأبعادها في نصوص من المعلقات: 41.
(2) ديوانه: 150.
(3) ديوانه: 36.
(4) ينظر: الثنائيات، دراسة في شعر محمود درويش، نزار قبيلات وعلي الشروش، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 38، العدد 3، 2011: 1000.
(5) ديوانه: 53، في الحياة: في الصلح والسلم وإلا هلكوا، وسهم: من بني عبس، والروق: طول في مقدم الأسنان.



والحضور والغياب في شعر الحطيئة ظاهران جليان توضحهما ثنائياته الضدية المعنوية فالأبيات الآتية توضح مدى تعلق الشاعر بها، فكلها مما يمكن أن يعد تضاداً لتضادات أخرى تفهم من السياق، وفي هجائه لقومه يقول[1]:

لهم نفرٌ مثل التُيوسِ ونسوةٌ مما جيرُ مثل الآتُنِ النَّعراتِ
لعمري لقد جربتُكم فوجدتُكم قِباحُ الوجوهِ سيِّئي العَذَراتِ
وجدتكم لم تجبروا عظمَ مُغرَمٍ ولا تَنحرون النِيبَ في الحَجُراتِ
فإن يصطَنِعْني اللهُ لا أصطَنِعْكُمُ ولا أُوتِكم مالي على العَثَراتِ
عطاءُ إلهي إذ بخلتمْ بمالِكم مهاريسُ ترعى عازِبَ القَفَراتِ

فهو لا يستخدم أسلوب المقابلة اللفظية أو المقارنة بين حالين كأن يظهر النقيض تلقاء نقيضه، وإنما يترك الباب مفتوحاً أمام المتلقي ليتعرف على المعنى الضد الذي يبحث عنه الشاعر عندما ذكر كل هذه الصفات السيئة وألبسها قومه؛ ليحكم عليهم بأنهم أناس أشرار لا خير فيهم، فثنائيته هنا (الخير–الشر) وهي تفهم من خلال النص بتجميع تراكيبه ومعاينتها ليتبين أن الخير قد سكت عنه الشاعر لكنه أظهر ما يقابله، "إن الاتصال بين النص والمتلقي عملية تتحرك وتنظم ليس بواسطة ما يقال، وإنما عن طريق تفاعل صارم بين ما يقال وما لا يقال، بين الصريح والضمني، بين ما هو خاف وما هو معلن"[2].

وتزودنا الثنائية الضدية بكثير من المعاني والصور التي وظفها الحطيئة في شعره ولا سيما قوله[3]:

أخرجتَ جارَهُمُ من قَعرِ مُظلمةٍ لو لم تُغِثْهُ ثَوى في قَعرِها حِقَبَا

فالمعنى لا يعدو أن يكون أكثر من كونه بناءً معنوياً يقوم على ثنائية (الضياء–الظلام)، فسعة الحال واليسر لدى الشاعر إنما هي عيش في النور والضياء، أما قبل أن يغاث من ممدوحه فإنه كالذي يغرق في الظلام وربما كان في أشده إذ هو في قعر مظلمة عندما لا يجد مالا يعيش به، فالضياء يساوي الغنى، والظلام هو الفقر، وتلمح إشارات في النص إلى قصة النبي يوسف عليه السلام الذي تركه أخوته في قعر الجب ولم يعطفوا عليه، فحال الشاعر شبيه بذلك الموقف، والصور الشعرية رُسمت بلوحة فنية لعب الخيال فيها دوراً واضحاً من خلال استدعائه لصور سابقة أتى بها لتعزيز لمعنى المراد.

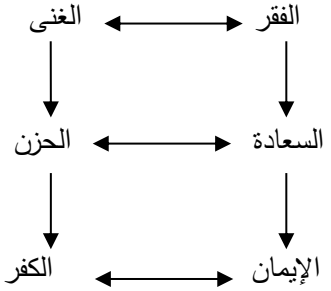
وتتشكل الثنائية المعنوية في شعره عن طريق البنية الكلية للقصيدة أو في مجموعة من الأبيات ففي قوله[4]:

ولستُ أرى السعادةَ جَمعَ مالٍ ولكنَّ التقيَّ هو السَّعيدُ
وتقوى اللهِ خيرُ الزادِ ذُخراً وعند اللهِ للأتقى مزيدُ
وما لا بُدَ أن يأتي قريبٌ ولكن الذي يمضي بعيدُ

(1) ديوانه: 55.
(2) جماليات التلقي في السرد القرآني، د.يادگار لطيف، الشهرزوري، دار الزمان للطباعة والنشر، ط1، دمشق 2010: 295.
(3) ديوانه: 47.
(4) ديوانه: 79.

تتشكل تعارضات ضدية بين مجموعة من القيم التي هي مدار بحث الشاعر، فهو يحث صاحب الأموال ويوجه تفكيره إلى أن السعادة ليست بكثرة المال وجمع الثروات وإنما هي في رأيه عبارة عن تقوى الله؛ لأنها خير الزاد والذخر، وكذلك ما يوعد به المتقي من المزيد والجزاء في الآخرة.

فالنص يدور في فلك ثنائية هي عبارة عن (الإيمان–الكفر)، فالإيمان ينفي جمع المال كما ينفي الكفر أيضاً، أما في الجانب الآخر فإن السعادة تنفي الشقاء كما أنها تتضاد مع جمع المال وتنفيه. وهذا يظهر في الترسيمة الآتية:



والحقيقة التي تبدو واضحة وجلية في شعر الحطيئة وثنائياته أنها في الواقع صراع بين أشياء داخلية كامنة في نفسه؛ فهو يعيش في طرفين متناقضين، فشخصيته متطرفة نائية عن الوسطية، فهو إما أن يكون في أقصى اليمين أو يكون في أقصى اليسار وهذا التطرف ناجم عن ظروف حياته التي عانى كثيراً منها، وربما أثَّرت في شخصيته فجعلته "حاد الطبع متقلب المزاج يثور بسرعة ولكنه يهدأ بسرعة، فإلى جانب تلك الحدة التي تناول بها مهجويه، كانت هناك رقة مفرطة تظهر في شعره"[1]، وهذا ما لمسناه عند الحطيئة في قوله يهجو قوماً يخص منهم قدامة[2]:

قدامةُ أمسى يَعرِكُ الجهلُ أنفَهُ بجدَّاء لم يُعرَكْ بها أنفُ فاخِرِ
فخرتُم ولم نعلم بحادثِ مجدكمُ فهاتِ هلمَّ بعدَها للتَّنافُرِ
ومن أنتمُ إنَّا نسينا من أنتُمُ وريحكُمُ من أيِّ ريحِ الأعاصرِ
متى جئتُمُ إنَّا رأينا شخوصَكُم ضئالاً فما إن بيننا من تناكُرِ
وأنتم أولى جئتُم مع البقل والدَّبا فطارَ وهذا شَخصُكم غير طائِرِ
أريحوا البلادَ منكُمُ ودبيبَكُم بأعراضنا فِعلَ الإماءِ العَواهِرِ

فهو يقف متهجماً عليهم وكأنه في معركة هو طرف فيها، وهذه إنما هي ثنائية ضدية معنوية يتكلم فيها النص والحدث معاً، هو في طرف ومهجوه في طرف، ينفي أحدهما الآخر، وهذه الثنائية تجسيد لما يراه الشاعر فيهم وهي رؤيته الخاصة، على عكس ما يراه في نفسه وقومه من عز ومجد قديم.

وهذا الاستهزاء الواضح فيهم إنما هو دفاع مستميت عن شخصه وحطّ من قدرهم، وتلك المعاني الثرَّة هي تشكيل لمعانٍ جديدة تفهم من خلال التضاد السياقي المختفي خلف تلك الأسطر.

الثنائيات اللفظية:

تتجلى هذه الثنائيات في شعره بصورة واضحة، إذ إن المتصفح لديوان الشاعر يجدها ظاهرة تبدو كأنها لازمة في شعره، فهو يكثر منها بشكل واضح جلي وكأنها تمثيل لواقع محسوس، أحاط بالشاعر فجعل حياته تدور في فلك تلك المتضادات وتزخر بها. "إذ يبدو أن الحطيئة من الذين لا يثبتون على رأي أو موقف، تتواجد في أذهانهم جيوب شتى تحوي من المتناقضات"[3].

(1) ديوانه: 17.
(2) ديوانه: 111.
(3) القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، د.سالم المعوش، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2001: 462.

والحقيقة أن هذه المتضادات اللفظية تسوقها أشياء عدة أهمها تنوعها بين الأسماء والأفعال كل على حدة وبينهما معاً إلى جانب الثنائيات التي تتشكل عبر أدوات أخرى كالحروف وغيرها.

ومن ثنائياته اللفظية الاسمية قوله يذكر داراً تركها أهلها[1]:

خلتْ بعد مغنى أهلها وتأبَّدَتْ كأنْ لم يكن للحاضرينَ بها عهدُ

كأنْ لم تُدمِّنْها الحلولُ وفيهمُ كهولٌ وشبانٌ غطارفةٌ مُرْدُ

فلفظتا كهول وشبان تضاد لغوي (لفظي) استعملهما الشاعر ليجمع بهما الزمن الطويل الذي عمَّر به أهل هذه الدار، وفي مثل هذا النوع من الثنائيات يرتبط طرفا الثنائية ارتباطاً استلزامياً بحيث يذكر الطرف الثاني بذكر الطرف الأول، وبهذا يتحقق التضاد اللغوي. والتضاد هنا ليس كما هو بالمفهوم التقليدي للطباق والمقابلة، إذ لم يقصد الشاعر أولئك القوم صغاراً وكباراً وإنما قصد انحرافاً أسلوبياً اكتسب استراتيجيته المؤثرة من خلال الطبيعة العلائقية التي نشأت عند استخدامه هاتين اللفظتين[2]. فالكهول صفة للشيوخ المعمرين، والغطارفة لقوة الشباب وعنفوانه، وهاتان الصفتان تجمعان أي مجتمع ينشأ على أرض ما، كما أنهما يحملان دلالة زمنية لطول المدة التي قطن أولئك القوم فيها بتلك الديار.

ويلحظ هنا نفي كل طرف للطرف الآخر، كما أن امتداد الزمن تلحظه من خلال اختلاف موسيقى الكلمتين: كهولٌ (فعول) وشبانٌ (مفاعيلن) وهذا مؤشر واضح على التضاد بين الكلمتين التي تنفي إحداهما الأخرى.

ومن تضاداته اللفظية الاسمية قوله[3]:

سيري أُمامُ فإنَّ المالَ يجمعُهُ سيبُ الإلهِ وإقبالي وإدباري

فالكلمتان (إقبالي وإدباري) متقابلتان ينفي معنى كل منهما معنى الكلمة الأخرى فهما متضادتان قلباً وقالباً، وعندما نزن الكلمتين نجدهما بالجرس الموسيقي نفسه، ومثل هذا يسمى بالتضاد الإيقاعي أو الموسيقي[4]. فالشاعر حريص على أن تأتي تضاداته بجرس موسيقي واحد، وربما كان ذلك أكثر ملاءمة من الاختلاف الموسيقي، فنراه يشدد على ذلك في أبيات أخرى من ذلك قوله مادحاً[5]:

الحمدُ لله إنِّي في جوارِ فتىً حامي الحقيقةَ نفَّاعٍ وضرَّار

فغايته من التضاد (نَفَّاع – ضَرَّار) ليس النفع والضر المرادفتين لمعنى العطاء والمنع التي أكثر الشاعر منهما في ديوانه نحو قوله[6]:

أو ملْكُها وقسيمها عن أمرِهِ يعطي بأمرك ما يَشاءُ ويمنعُ

ولا النفع والضر اللتان بالمعنى العام لهما كما في قولهِ[7]:

وأخذتَ أطرارَ الكلامِ فلم تدعْ شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفعُ

(1) ديوانه: 75. الحلول: القوم حلوا بها ونزلوا، الغطارفة: جمع غطريف وهو الشاب السخي ذو الخيلاء.
(2) ينظر: استراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية في شعر عبد الله العشي، الخميسي شرفي، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2011، ع7: 271.
(3) ديوانه: 114. سيب الإله: عطاؤه.
(4) ينظر: دراسات لغوية في نونية ابن زيدون: 87.
(5) ديوانه: 116.
(6) ديوانه: 124.
(7) ديوانه: 125.

وإنما جاء الشاعر بمفردتي (نفّاع وضرَّار) ليؤكد أنْ ليس التضاد الملموس واقعاً فحسب، وإنما التضاد المؤكد لمنزلة الممدوح ذي الشخصية الحديّة التي إما أن تكون نفاعة أو ضرارة، كما أنّ فعل المبالغة المشدد يوحي بمنزلة التضاد فهو نفّاع إلى درجة عالية وهذا إن تطلب الأمر النفع، أما وجهه الثاني الضرّار فهو ضره إلى أبعد ما تكون المضرة إن تطلب الأمر ذلك. فهو منتهى الجد والحزم، وهذا ما يريده الشاعر والمفضل عنده إذ إنه يحمد الله على مثل هذا الجوار وذلك الفتى. وقد وردت التضادات الاسمية كثيراً في شعره نشير إليها في ديوانه وهي: معطشين–رواء (ص25)، الشتاء–الصيف (74)، سخون–برود (74)، اليوم–غدا (78)، الذم–الحمد (79)، الصافي–الكدر (83)، الميسور–العسر (111)، اليمين–الشمال (169)، العز–الذل (171)، الفقير–الغني (190)، الشقي–السعيد (190)، وهناك معانٍ قريبة من ذلك لم نذكرها تجنباً للإطالة. ونلاحظ من التضادات الاسمية أن الشاعر استخدم بعضاً منها بغير ما وضعت له فلا هي تضاد لفظي، ولا هي تضاد معنوي إلاّ أنّ بلاغة الشاعر ومقدرته العالية على رصف المتضادات ذات الحمولة الدلالية التي يجزم قارئها بأنها قمة التضاد وأعلى منازله من حيث قيمتها الآنية المشبعة بالإحالات والإيحاءات التي تحمل مفردات تبطن دلالات سايكولوجية عميقة مغايرة لدلالتها السطحية في النص، وهي مفردات ذات دلالة موجبة تجاوزت بناءها النصي محملة بشحنات انفعالية موجبة، فهي ليست صيغ وصفية باهتة، بل إنها قادرة على إثارة العواطف والانطباعات والشعور، ونقل الدلالات من موضوعها الأصل إلى موضوع آخر[1].

من ذلك قوله يمدح آل شماس[2]:

قومٌ هُم الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ومن يُسوِّي بأنفِ الناقةِ الذَّنبا

قال الجاحظ: كان الرجل من بني أنف الناقة إذا قيل له ممن الرجل؟ قال من بني قريع فما هو إلاّ أنْ قال الحطيئة: فصار الرجل منهم إذا قيل له: ممن أنتَ قال: من بني أنف الناقة[3].

وهذا التضاد بين الأنف والأذناب ليس من التضاد الحقيقي وإنما هو تضاد على وجه (التقريب لا على الحقيقة)[4] كما أسماه القدماء، أو هو تضاد أطلق عليه المحدثون (التضاد السياقي)[5] ويمكن تعريفه بأنه "كل مقابلة كانت علاقة المتقابلين فيها توزيعية"[6] فأسلوب الشاعر هو المتحكم بمثل هذا التضاد فلا يخضعه لحتمية المعجم المشترك بقدر ما يستجيب لملكته الخاصة. فالأنف لا يمكن لها أن تكون ضداً للذنب، إنما أتى بها الشاعر لأن العرب تجعل من معاني الأنف: الأول، قال الخليل: أنف كل شيءٍ أوله، وأنف الجبل: أوله أو ما بدا منه[7]. والذنب "مؤخر الدّواب ولذلك سمي الأتباع الذُّنابى"[8]. فقابل بين (أنف، وأذناب) على سبيل الاستعارة[9].

إن السياق معيار مهم للحكم على الثنائيات، فهناك كلمات لا يمكن أن تكون مضادة لما جاءت معها في نسقها الشعري، إلا أن المناسبة والسياق فضلاً عن المفهوم الوضعي كلها قد تُشكل جميعاً تضاداً وهذا ما لمسناه في قول الحطيئة[10]:

ألم ترَ أنّ ذُبياناً وعبساً لِباغي الحربِ قد نَزَلا بَراحاً

(1) ينظر: جماليات النص الأدبي- دراسات في البنية والدلالة-، د.مسلم حسب حسين، دار السياب، ط1، لندن، 2007: 135.
(2) ديوانه: 45.
(3) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، ط1، بيروت، 1968: 577.
(4) كتاب الصناعتين: 329.
(5) ينظر: استراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية في شعر عبد الله العشي: 272.
(6) خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1981: 102.
(7) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979: 147/1.
(8) المصدر نفسه: 361/2.
(9) ينظر: الأغاني: 193/2.
(10) ديوانه: 62. البراح: ما اتسع من الأرض.

فالحطيئة لم يقصد اسمين صنعهما اعتباطاً، وإنما هو يدرك مدى وقع هاتين الكلمتين، إذ أصبحتا ندين على مرّ العصور ومضرب مثل لكثير من الخلق إلى يومنا هذا، فلا شك أن ذبيان وعبس في قوله صارتا تضاداً سياقياً فهو يضرب مثلاً لمن يطلب الحرب بأن يوجه نظره إلى هاتين القبيلتين.

وفي ثنائياته الضدية نلحظ مقدرة الشاعر على استمداد الصور الشعرية التي تؤسس للتضاد عنده، ففي حديثه عن حفظ السر وهو يهجو أمه، قوله[1]:

أغِربالاً إذا استودعتِ سرّاً وكانوناً على المُتَحَدِّثينا

فيصورها بالغربال الذي لا يمسك ما فيه إشارة إلى عدم حفظ السِّر، فقابل بين غربال وكانون، فهي تمنع حديث غيره عليه، وفي المثل "أثقل من كانون"[2] كناية عن كتمها القول.

ومن ثنائياته التي جاءت لفظية تتشكل من اسم وفعل قوله[3]:

فباتوا كراماً قد قضَوا حقَّ جارِهم فلم يغرَموا غُرماً وقد غنِموا غُنماً

فقابل بين يغرموا غرماً–غنموا غنماً.

وقوله[4]:

رَدَدْتُ عليه الكأسَ وهي لذيذةٌ إلى اللَّيلِ حتى ملَّها وأمرَّتِ

فجاء بمفردة (لذيذة) اسماً ومقابلها (أمرت) فعلاً. وهي عنده كثيرة.

واستخدم الشاعر ثنائيات ضدية لفظية تتشكل من فعل وفعل ومنها قوله[5]:

فإن يشكُروا فالشكرُ أدنى إلى التُّقَى وإن يكفُروا لا ألفَ يا زيدُ كافرُ

وقوله[6]:

فما زلتَ تعطي النَّفسَ حتى تجاوَزتْ مُنَاها فأعطِ الآن إن شئتَ أو دَعِ

وقوله[7]:

ولمَّا أن مدحتُ القومَ قُلتمُ هَجوتَ ولا يَحِلُّ لكَ الهِجاءُ

وقوله[8]:

وأرى الذين حَووا تراثَ محمَّدٍ أَفَلتْ نجومَهُم ونجمُك يَسطَعُ

وفي كل هذه الثنائيات نرى الشاعر يُظهر طرفي الثنائية في الوقت الذي يمكن له أن يتجاوز أحدهما، ولكن يبدو أنه في إخرجه للطرف الثاني يقصد اشباع المعنى ومحاولة إبراز الصورة على أتم وجه.

(1) ديوانه: 187.
(2) مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السعادة بمصر، ط2، 1959: 137/1.
(3) ديوانه: 179.
(4) ديوانه: 52.
(5) ديوانه: 114.
(6) ديوانه: 128.
(7) ديوانه: 32.
(8) ديوانه: 125.

أما الثنائيات التي جاءت عنده بأداة، كأداة النفي مثلاً إذ تسمى طباق السلب[1]. وهي أن يأتي الفعل نفسه مثبتاً مرةً ومنفياً مرة أخرى ليتم الطباق والتضاد من خلاله، ومن ذلك قوله[2]:

من كان يحمدُ في القِرى ضِيفانُهُ فَبَنُوا بِجادٍ في القِرى لم يُحْمَدوا

وقوله[3]:

وأنتم أولي جئتم مع البقلِ والدَّبا فَطَارَ وهذا شخصُكُم غيرُ طائرِ

وقوله[4]:

كأنَّ طَرَفَ قَطاميٍّ بمُقلتِهِ إذا يُحارُ هُداةُ الناسِ لم يَحَرِ

وقوله[5]:

لا يُبعِدِ الله إذ ودعتُ أرضَهُمُ أخي بغيضاً ولكن غيرُهُ بَعُدا

وهذه الثنائيات لا يبدو عليها البعد الفكري العميق وليس لها ذلك الوقع النفسي المؤثر لدى قراءتها، وإنما أتى بها الشاعر لبين حال أو واقعة معينة.

الخاتمة

من الواضح أن الثنائيات الضدية في شعر الحطيئة لم تتشكل من فراغ، ولا اعتباطاً، فهي لم تأتِ بفعل الذائقة الفردية للشاعر بوصفه إنساناً عادياً، وإنما ظهرت تلك الثنائيات مبثوثة في شعره نتيجة موقف فكري تجاه الإنسان والكون والحياة، صاغها الشاعر بقابليته ومقدرته اللغوية والفكرية، فتولدت أنساق فكرية متنوعة تكتنفها التضادات التي تحمل سمة من سمات الوجود–العدم، والحضور–الغياب، والضياء –الظلام، والسلم–الحرب، والخير–الشر، والكرم–البخل.

والحقيقة أن الحطيئة دار في دائرة هذه الثنائيات، فحياته كانت بهذه الميزة فهو يتأرجح في حياته بين الحياة–الموت، والحضور–الغياب، مجسدة بواقعه المنهك، وواضح أنه كان يسعى جل وقته دائراً بفضاء عجلة الزمن الذي يرتقب فيه الإحسان من هذا وذاك، فهو لا يفتأ يتحدث عن العطاء والمنع، فحياته تتجسد في هذه الثنائية التي ربما شكلت الهاجس الوحيد لديه، فكرس حياته لها، ورسم صورتها بلوحتي الكرم–العطاء والبخل–المنع ولا ثالث لهما، ومن هنا يتبين لقاريء شعره صحة ما تحدثنا عنه، وهذه تعد النتيجة الأولى التي خرج بها البحث، ومن النتائج الأخرى إظهار الوظيفة المهمة التي تقع على عاتق الثنائيات الضدية لديه، فهي شكل من أشكال ديناميكية النص وما تحمله من أبعاد غائبة تتفجر أنساقاً دلالية متنوعة.

كانت الثنائيات لديه واضحة تنير صفحات ديوانه وتشع بالأنوار الدلالية والسياقية، تحملها صور شعرية على أجمل ما يكون، فهي ثنائيات معنوية تخضع لما وراء النص وما يحمله من إيحاءات رمزية تنفثها ذائقة القاريء الفطن، إنها ثنائيات لفظية ظاهرة على شكل علامات مضيئة في سماء نصوصه، والحطيئة في ثنائياته لا يبحث عن الحياة الكريمة من مأكل ومشرب وغيرها فحسب، وإنما سعى إلى أكثر من ذلك فهو يبحث عن الخلود الدائم، وذلك ظاهر في نهاية حياته التي تبحث عن مفاتيح شعرية تفتح أبواباً واسعة إلى الكون الرحيب.

(1) دراسات لغوية في نونية ابن زيدون: 70.
(2) ديوانه: 78.
(3) ديوانه: 111.
(4) ديوانه: 113.
(5) ديوانه: 78.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

1. إعجاز القرآن، الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب، دار المعارف، القاهرة، تحقيق: السيد أحمد صقر.
2. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الفكر، بيروت، تحقيق: سمير جابر، ط2، (د. ت).
3. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، اعتنى به وراجعه محمد عبد القادر الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2008.
4. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، ط1، بيروت، 1968.
5. التقابل والتماثل في القرآن الكريم، د.فايز عارف القرعان، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العربي، ط1، الأردن، 2006.
6. دراسات لغوية في نونية ابن زيدون، د.ناصر عبد النبي، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2010.
7. الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، د.سمر الديوب، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009.
8. جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، 1981.
9. جماليات التلقي في السرد القرآني، د.يادگار لطيف، الشهرزوري، دار الزمان للطباعة والنشر، ط1، دمشق 2010.
10. جماليات النص الأدبي– دراسات في البنية والدلالة–، د.مسلم حسب حسين، دار السياب، ط1، لندن، 2007.
11. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1988.
12. خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1981.
13. ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت 2002.
14. شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة هارون الرشيد، دمشق، ط3، 2008.
15. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1964.
16. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تحقيق: أبي عمرو عماد زكي الباروي، المكتبة التوفيقية، أمام الباب الأخضر.
17. القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام، د.سالم المعوش، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2001.
18. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1952.
19. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي، نهضة مصر، ط1، 1959.
20. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، الميداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السعادة بمصر، ط2، 1959.
21. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ت).
22. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979.
23. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي بمصر، 1963.

ثانياً: الدوريات

1. استراتيجية التضاد وعلاقتها بالنزعة الصوفية في شعر عبد الله العشي، الخميسي شرفي، مجلة المخبر، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2011، ع7.
2. الثنائيات الضدية وأبعادها في نصوص من المعلقات، د.غيثاء قادرة، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، دمشق، 2012، ع10.
3. الثنائيات، دراسة في شعر محمود درويش، نزار قبيلات وعلي الشروش، مجلة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 38، العدد 3، 2011.
4. الثنائية الضدية في نماذج من الشعر العباسي، ماجد عبد الحميد الكعبي، مجلة أطراس، س1، ع2، جامعة البصرة، نيسان، 2006.
5. ثنائية الماء والنار في شعر أبي تمام، د.نوزاد شكر إسماعيل، مجلة التربية والعلم، م19، العدد (2) نيسان 2012.